مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجلّةٌ - إسلامِيّةٌ - ثقافِيّةٌ - جامِعةٌ - مُحكمَةٌ

تَصدُرُ سَنوِيّاً عَن

كُلِيّةِ الدّعوةِ الإسلاميّةِ

العددان الواحد والثلاثون والثاني والثلاثون

لسنة 1439 – 1440 الهجرية الموافق: 2017 – 2018 الميلادية

الأثر الثقافي للهجرات الأندلسية إلى إفريقية الحفصية

د. أحمد مسعود عبد الله مسعود
جامعة الجبل الغربي - ليبيا

مُقدِّمة:

تُعتبر الهِجرات الأندلسيَّة إلى إفريقية من الأحداث التي غيَّرت وَجْه الحياة في إفريقية زمن الحفصيين في جميع الجوانب السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة والعمرانيَّة وسيقتصر البحث هُنا عن التأثير الثقافي.

فقد أسهم المُهاجرون الأندلسيون في الثقافة بنصيب وافر، وإيجابي طِيلة العهد الحَفْصي، وكان السبب في ذلك هو هِجرة الأدمغة الأندلسيَّة إلى إفريقية وخاصَّة مدينة تونس حتى أصبحت إفريقية وارثة لعُلوم الأندلس؛ لذلك كَثُر حُذَّاق العُلوم بها، واستطاعوا أنْ يغيِّروا وجه البلاد الثقافي، بفضل مجهوداتهم وحِرْصهم الشديد على إشباع حاجاتهم، عن طريق الارتزاق بالعِلْم، وعملهم على احتكاره في المكاتب والجوامع والمساجد والمدارس، فأصبح الأندلسيُّون ذوي تأثير كبير وكان هذا التأثير عظيم الفائدة على التونسيِّين والطرابلسيِّين بإفريقية في جميع مظاهر الحياة وخاصَّة الجانب الثقافي، وازدهرت الحياة الثقافيَّة بإفريقية بسبب دعم أُمراء بني حفص للعلم ورجاله، وانتشار التعليم المجاني، وما دعمته الأميرات الحفصيَّات، لذلك راج سوق العِلْم واشتهرت العديد من العائلات في هذا المجال مثل عائلتي التجاني وابن خلدون.

وسوف يتم -بعون اللّه تعالى- في هذا البحث مُناقشة الأثر الثقافي للهِجرات الأندلسيَّة إلى إفريقية خِلال العهد الحَفْصي المُتمثِّلة في هجرة شرق الأندلس وهجرة غرب الأندلس، والهجرة الغرناطيَّة، وأثر الهجرات الأندلسيَّة على النشاط الثقافي في إفريقية، ودور مشاهير عُلماء الأندلس في تنشيط الحركة الثقافيَّة في إفريقية، ودور الأُمراء الحفصيين وحبهم وتشجيعهم للثقافة بإفريقية، ثم دراسة دور المهاجرين الأندلسيين في نَشْر العِلْم بالمؤسسات العِلْميَّة والثقافيَّة بإفريقية الحفصيَّة.

أوّلاً - الهجرات الأندلسيَّة إلى إفريقية:

إنَّ الحضور الأندلسي في بجاية بإفريقية يعود إلى ما قَبْل العهد الحفصي بكثير؛ حيث يقول البكري: بأنَّ بجاية كانت آهلة وعامرة بأهل الأندلس[1].

إنَّ زحف الإسبان بالأندلس قبل معركة العقاب سنة (609هـ/ 1212م) جعل المسلمين يفقدون مقومات القُوَّة لمواجهة الخطر الإسباني، ممَّا جعل بعض الفقهاء يدعون إلى الهجرة بدلاً من الدَّعوة إلى مُقاومة الإسبان، والمِثال على ذلك ما قاله الشاعر الطليطلي ابن العسّال في قصيدته بعد سُقوط طليطلة التي يقول مطلعها[2]: (بسيط)

شـدُّوا رواحلكم يـا أهـل أندلس ... فما المـقـام بهـــا إلا من الغلط

الـثوب ينـسـل مـن أطرفه وأرى ... ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط

أمَّا الهِجرات الأندلسيَّة خِلال العَهْد الحَفْصي إلى إفريقية من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي والتي استمرَّت إلى سُقوط غرناطة سنة (897هـ/ 1492م) وبعدها، فقد بلغت ذُروتها في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وفي بعض الأحيان بلغت أقوامًا بأجمعها، وقد انقسمت إلى الأقسام التالية:

---

(1) البكري: كتاب **المسالك والممالك**، ج2، ص757.

(2) المقري: **نفح الطيب**، ج5، ص352.

1 - هِجْرة شَرْق الأندلس:

مع قيام الدولة الحَفْصية بإفريقية، وسُقوط إمارات شَرْق الأندلس في يد الإسبان اتَّجهت هِجرة من شرق الأندلس إلى تونس، خِلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، فرحَّب بهذه الهِجرة الأمير الحَفْصي الأوَّل أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد الحفصي، وهذه الهِجرة في مُجملها من أفضل العائلات الأندلسيَّة كان مُعظمها من العُلماء والأُدباء، الذين شغلوا مناصب مُهمَّة بالأندلس، وكان من بينهم ابن الأبّار البلنسي، وابن عصفور الإشبيلي، وحازم القرطاجني، وبنو طاهر المُرسيون، وبنو عقاب الشاطبيون، ولقد تحدَّث ابن خلدون في كتابه العِبَر الجُزء السادس في الكثير من الصفحات المُتفرِّقة[1]، عن هذه الهِجرة وأهمِّيتها العِلْميَّة.

وقد استقرَّ مُعظم المُهاجرين بتونس العاصمة، مُتَّخذين لهم حارات عُرفت بأسمائهم مثل: حومة الأندلسيين وزقاق الأندلسيين[2].

وكان مُعظم المُهاجرين من الأندلس إلى إفريقية ينتمون لأعرق البيوت في الأندلس، وكانوا من صَفْوة المُجتمع الأندلسي، ويعني هذا أنَّ مُعظم المُهاجرين كانوا من المثقَّفين، يذكر برنشفيك: «أنَّ مُسلمي إسبانيا الفارِّين من غزو النَّصارى، قد توافدوا على سواحل أفريقيا الشَّماليَّة في مجموعات من الحِرَفيين والأُدباء حاملين معهم عناصر حَضارة راقية»[3].

إنَّ الهجرات الأندلسيَّة إلى إفريقية لم تتوقَّف منذ بِداية العَهْد الحَفْصي إلى نِهايته، ولم تكن هِجْرتهم مُقتصرة على مدينة تونس وحدها بل عمَّت مُعظم مُدن إفريقية[4].

---

(1) ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص339 وما بعدها، كرير: المهاجرون الأندلسيون وتأثيراتهم على بلاد المغربين الأدنى والأوسط خِلال القرنين السابع والثامن الهجريين (13-14م)، ص94 وما بعدها.

(2) حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، ص91.

(3) برنشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، ج1، ص67.

(4) كانت منطقة النفوذ الحفصي في إفريقية تشمل تونس وطرابلس الغرب ومُقاطعة قسنطينة =

تُعتبر مدينة بجاية المدينة الثانية بعد تونس الأُولى المَحَطة للأندلسيين في هِجرتهم إلى إفريقية؛ حيث أصبحوا يُمثِّلون نسبة كبيرة من سكانها لنزولهم بها فُرادى وجماعات، وكانوا على جانب كبير من الأهمِّيَّة ومُحتفظين بكيانهم الأندلسي الخالص رافضين الاندماج مع عناصر بجاية المحلِّيين ساكنين أحياء خاصة بهم[1]، ولقد ساعدت عوامل عدة في توجُّه الهجرة الأندلسيَّة إلى بجاية لموقعها المُمتاز وخُصوبة تربتها، واعتدال مُناخها، الذي يُشبه مُناخ الأندلس واتِّصالها الدائم بسواحل الأندلس؛ حيث تعتبر محطة للسفن القادمة من موانئ طرطوشة[2]، وبلنسية[3]، والمرية[4]، وقرطاجنة[5]، بالإضافة إلى كَوْنها مركزاً حضارياً راقياً وقاعدة للسُّلطة المركزية أيام الحماديين والموحدين والحَفْصيين[6].

= من الجزائر، واتخذوا بجاية عاصمة ثانية لهم بعد تونس في بعض الأحيان، وكانت مُقسَّمة إلى مناطق على رأس كل منطقة والٍ وعامل يعتمدان على مشايخ البلدان ورؤساء القبائل، أحمد عامر، **الدولة الحفصية**، ص21.

(1) ناصر سعدوني، **صورة من الهجرة الأندلسية للجزائر**، ص224.

(2) طرطوشة: مدينة بالأندلس تبعد عن بلنسية 110 ميل، تقع في سفح جبل ولها سورٌ حصين، وبها أسواق وعمارات، وضياع، ودار صناعة المراكب من خشب الأشجار، ومنه خشب الصنوبر الذي لا يوجد له مَثيل في الطُّول والغلظ، ومنه تُتَّخذ السواري للسفن، ولون هذا الخشب أحمر صافٍ لا يتغيَّر لونه، ولا يفعل فيه السُّوس ما يفعله في غيره من الخشب. محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص391.

(3) بلنسية: تقع شرق الأندلس وبينها وبين قرطبة عن طريق بجاية 16 يوماً، وهي مدينة سهليَّة وقاعدة من قواعد الأندلس في مستوٍ من الأرض، وهي عامرة وكثيرة التجارات والأسواق وبينها وبين البحر ثلاثة أميال. المصدر نفسه، ص97.

(4) المرية: مدينة مُحدثة بالأندلس أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين اللَّه عبد الرحمن ابن محمد سنة 344هـ اتَّخذها العرب محارس يُرابطون بها، وهي من أشهر مراسي الأندلس اليوم، وأعمرها ولها سُور عظيم. الحميري، مصدر سابق، ص537.

(5) قرطاجنة: توجد في ثلاثة مواضع إحداها بالأندلس عند جبل طارق، والثانية بالأندلس أيضاً، وهي فرضة مدينة مرسية، وهي كثيرة الخصب وميناؤها ترسو به المراكب، والثالثة قرطاجة إفريقية التي تُعتبر من أجلِّها وأشهرها، تبعد عن تونس عشرة أميال، وهي من المُدن المشهورة، وفيها من الآثار وعجائب البنيان ما لم يوجد في غيرها من المُدن، ولو دخلها إنسان ومَشَى في عمره يتأمل آثارها لرأى كل يوم أُعجوبة لم يرها من قبل، الحميري، المصدر نفسه، ص462.

(6) ناصر سعدوني، **مظاهر التأثير والتأثر الإيبيري**، ص102.

كما اتَّجه المُهاجرون الأندلسيون إلى مدينة القيروان وحطُّوا رحالهم بها، وبنوا بها ربضاً أندلسيّاً خِلال القرنين السابع والثامن الهجري/ الثالث عشر والرابع عشر الميلادي؛ حيث عرف بربض ابن رحمون، كما توفِّي رجل أندلسي صالح يُدعى بأبي حسن الجياني بالقيروان سنة (687هـ/ 1288م) في بيت ابن رحمون، ويبدو أنَّ اسم هذا الرجل الصالح واسم هذا البيت والربض من الأسماء الأندلسيَّة الخالصة[1].

واتَّجه مجموعة من مُهاجري شرق الأندلس إلى بلاد الجريد[2]، وكذلك أخذت مُدن شرق إفريقية نصيبها الكبير من هِجرات شرق الأندلس، فمنها من اتَّجه إلى طرابلس الغرب، وإنْ كان نصيبها أقل من نصيب جارتها تونس لبُعدها الجُغرافي عن الأندلس[3]، وتوجد أُسرة بتاجوراء تُسمَّى بأُسرة طشانة، ويبدو أنَّ هذه الأُسرة من الأُسر الأندلسيَّة التي هاجرت إلى طرابلس الغرب المَعْقِل الشرقي للدولة الحَفْصيَّة[4].

ويذكر أنَّ أُسرة الإمام أبي عبد اللَّه الخروبي وأُسرة بني الحطاب المشهورتين من الأُسر الأندلسيَّة التي قدمت إلى الشَّمال الإفريقي خِلال الهِجرة الأندلسيَّة واستقرَّتا بطرابلس الغرب[5]، وأُسرة الفطيسي المُتواجدة بمدينة زليتن شرق مدينة طرابلس الغرب يرجع أصلها إلى الأُسر الأندلسيَّة التي هاجرت من الأندلس خِلال المِحْنة التي مَرَّت بها[6].

من خِلال ما سبق تبيانه نستنتج أنَّ هِجرات شرق الأندلس إلى إفريقية لها نتائج، وهي التأثير والتأثر في جميع جوانب الحياة السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، وبدرجة خاصَّة في الجوانب الثقافيَّة عند استقرارهم بإفريقية خِلال العهد الحَفْصي الذي هو موضوع بحثنا هذا.

(1) الدباغ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ج4، ص121.
(2) العروسي الميزوري، **الهجرة الأندلسية للقطر التونسي**، ص86.
(3) العياشي، **رحلة العياشي**، ص108.
(4) الطاهر الزاوي، **معجم البلدان الليبية**، ص48.
(5) إبراهيم رفيدة، **لمحات من الحياة الثقافية في ليبيا خلال القرنين 9-10م**، ص134.
(6) الطاهر الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص122-123.

2 - هجرة غرب الأندلس:

تمثَّلت هذه الهِجرة إلى إفريقية في أهالي غرب الأندلس التي كانت عاصمتهم إشبيلية، والتي كان استقبال أهالي إفريقية لها كبيرًا وخاصَّة أمير الحَفْصيين أبا زكرياء يحيى وابنه المُستنصر من بعده، وقد ذكر ابن خلدون في كتابه ما نصّه: «كانت لأهل إشبيلية حُظوظًا من بين الأندلس، وصِلة بالأمير أبي زكرياء بن عبد الواحد بن أبي حفص وبنيه، منذ ولاية غرب الأندلس»[1]، وكان مَرَدّ ذلك إلى الصِّلات القديمة التي كانت تربط آل حفص بأهالي إشبيلية في غرب الأندلس؛ حيث حكم قديماً أيام الموحِّدين بالأندلس.

وكانت أُسرة بني خلدون تُمثِّل غرب الأندلس؛ حيث كانوا ينحدرون من أُسرة عربيَّة قديمة أصلها من حضرموت استقرَّت بالأندلس أيام الفتح العربي الإسلامي للأندلس، وكانت من أبرز الأُسر العربيَّة في إشبيلية، وعندما عجز المسلمون بالأندلس عن دفع خطر الإسبان عنهم، وأصبح الإسبان على وشك الاستيلاء على مُعظم مُدن جزيرة الأندلس قرَّر بنو خلدون مُغادرة بلاد الأندلس والهِجرة إلى بلاد المَغْرب العربي الإسلامي، فنزلوا أوَّلًا بمدينة سبتة سنة (630هـ/ 2321م)، ثم انتقل جَدّهم الحسن بن خلدون إلى إفريقية سنة (641هـ/ 1243م)[2].

وخُلاصة القول: إنَّ هِجرة غَرب الأندلس وفدت على مدينة تونس وغيرها من مُدن إفريقية الأُخرى خِلال العهد الحَفْصي بالتحديد بعد سُقوط قاعدة غرب الأندلس مدينة إشبيلية سنة (646هـ/ 1248م)؛ وذلك للعَلاقة الوطيدة التي كانت تربط أهل إشبيلية وأمراء الدولة الحَفْصية منذ القِدَم مع تونس، وبذلك تكون هذه الهِجْرة من أهم الهِجرات الأندلسيَّة إلى إفريقية، والتي كان من أهم بيوتها بنو خلدون، وبنو سيِّد الناس اليعمري، وابن

(1) ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص345-346. كرير، مرجع سابق، ص94.
(2) ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص345-346. كرير، مرجع سابق، ص94.

عُصفور، وأبو المطرف بن عميرة وغيرهم من العُلماء والمُثقَّفين وأصحاب الصنائع والحِرَف[1].

من خِلال ما تقدَّم عَرْضه عن هِجرة غَرب الأندلس إلى إفريقية خِلال العهد الحَفْصي واهتمام أُمراء بني حفص بهذه الهِجرة اهتماماً كبيراً ومُساهمة هذه الهِجرة في جميع مناحي الحياة وخاصَّة الثقافي منها؛ لأنَّ هذه الهِجرة في الأساس كان توجهها إلى إفريقية يرجع للعَلاقة الوطيدة بين الحَفْصيين وهؤلاء المهاجرين منذ القِدَم، ولو لم يكن ذلك ما اتَّجهت هِجرة غَرب الأندلس إلى إفريقية الحَفْصيَّة ولا اهتمَّ بهم أمراء بني حَفْص هذا الاهتمام الكبير.

3 - الهجرة الغرناطيَّة:

توجَّهت هذه الهجرة إلى تونس سنة (897هـ/ 1492م) بعد سقوط مدينة غرناطة، ولم تمضِ سنة واحدة حتى بلغ عدد المُهاجرين الأندلسيين ثمانية آلاف مُهاجرٍ أندلسي تقريباً، هذه الهجرة كانت تجمع طبقات وفئات اجتماعيَّة وعِلْميَّة وثقافيَّة مُختلفة، إلَّا أنَّها لم تكن مُنظَّمة، عند مُقارنتها بهِجرات شَرق الأندلس وهجرات غَرب الأندلس التي سبقتها إلى إفريقية الحَفْصيَّة، وكانت تضم الفلَّاح والحِرَفي والصانع والعالم وكُل من دفعته الحاجة والظرف للهِجرة للحُصول على العيش في أي بلد عربي إسلامي بعد أنْ ضاقت بهم السُّبُل والدنيا بما رحبت في بلدهم الأندلس، وأنَّ الهِجرات الأندلسيَّة إلى إفريقية اتَّجه مُعظمها إلى تونس عاصمة الدولة الحَفْصيَّة ومقرّ السُّلطان في تلك الأيام فكوَّنت مُشكلة للدولة الحَفْصيَّة، وصُنِّفت هذه الهِجرات في مُجملها إلى ثلاثة أصناف أو أنواع وزَّعتها الدولة الحَفْصيَّة على ثلاث جِهات من البلاد التونسيَّة:

الصِّنف الأوَّل:

الذي كان يعيش في المُدن من المُهاجرين من فئة العُلماء والموظَّفين والأغنياء، استقرُّوا بمدينة تونس العاصمة، وخُصِّصت لهم أحياء خاصَّة بهم

(1) ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص345-348. كرير، مرجع سابق، ص94.

سُمِّيت بأسمائهم كحومة الأندلس بالقرب من الحلفاويين وزقاق الأندلس وغيرها[1].

الصِّنف الثَّاني:

كان يضم العُلماء والصنَّاع والمُزارعين والعمارة، فسكنوا في المُدن الكُبرى كالقيروان، وصفاقس، وقابس، وأسَّسوا مُدنًا جديدة قُرب بنزرت، وعلى ضِفاف نهر مجردة إلى غيره من الأحياء الأندلسيَّة في تونس وغيرها من المُدن الإفريقيَّة.

الصِّنف الثَّالث:

وهُم الفلَّاحون والبدو الذين عمَّروا مناطق البادية بإفريقية[2].

ثانيًا - الأثر الثقافي للهِجرات الأندلسيَّة في إفريقية الحَفْصيَّة

1 - أثر الهِجرات الأندلسيَّة في النشاط الثقافي في إفريقية:

كان للهِجرات الأندلسيَّة تأثير كبير في ازدهار الحركة الثقافيَّة في إفريقية؛ وذلك باستقرار الأدمغة الأندلسيَّة في مُعظم مُدن إفريقية؛ إذ استطاع الأندلسيون تغيير وجه البلاد الثقافي بفضل مجهوداتهم وحِرصهم الشديد على إشباع حاجاتهم عن طريق الارتزاق بالعِلْم وعملهم في التدريس بالمكاتب والجوامع والمدارس الحَفْصيَّة، ولقد أجمع الدَّارسون على أنَّ هذه الفترة التاريخية تُمثِّل ذُروة الثقافة الإسلاميَّة في بلاد المغرب؛ إذ لم تكن الثقافة محصورة في منطقة بعينها بل شاركت في ذلك كُل المناطق بنصيبها في حِفظها ونشرها[3].

(1) حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات**، ق3، ص265.

(2) أبو سدرية، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والثقافية في المغرب الأدنى خلال العهد الحفصي**، ص401-402.

(3) عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، ص217.

ظهرت في إفريقية العديد من المؤلفات بفضل الهجرات الأندلسيَّة ومشاهير العُلماء أمثال ابن الأبار البلنسي، وابن عصفور، وابن رضوان المالقي، وأبي حازم القرطاجني وغيرهم من مشاهير العُلماء الذين انتشرت أفكارهم العِلْميَّة في جميع ميادين الحياة المُختلفة لتنوُّع اختصاصاتهم وموسوعيَّة عِلْمهم، فاستفاد عُلماء إفريقية من هؤلاء العُلماء المُهاجرين إليهم واقتدوا بهم(1).

استطاع المُهاجرون الأندلسيون إلى إفريقية نقل المذهب المالكي إليها؛ لأنَّهم كانوا ينتحلون هذا المذهب ويتمسَّكون به، وأنَّهم لا يعرفون إلا كتاب اللَّه وموطأ الإمام مالك، فأعادوا نشر مذهب مالك من جديد في إفريقية مع الحَفْصيين بعد أُفول نَجْمه في عهد الموحدين عن طريق مدارس الفِقه(2).

لقد ساهم المُهاجرون الأندلسيون في نَشْر مُختلف العُلوم الدِّينيَّة في إفريقية فنشروا عِلْم القراءات، والفِقه، والحديث، وذلك بوساطة توافد الأعداد الكبيرة من الفُقهاء والعُلماء، والمُفسِّرين الأندلسيين، واهتمّوا بتدريس عِلْم القراءات داخل المساجد والمدارس، مثل الشيخ أبي عبد اللَّه محمد بن صالح الكتاني الشاطبي المُستوطن في بجاية العالم بِعِلم القراءات، والمُتفوِّق والمجيد لها وغيره كثيرون ممَّن توافدوا على مدينة تونس مقرّ السلطان الحَفْصي(3).

أمَّا في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، فقد تدفَّقت أعداد كبيرة إلى إفريقية من النُّحاة واللُّغويين والأُدباء؛ حيث استقرُّوا بها وأسَّسوا مدارس للُّغة والنحو والأدب، مثل أبي الحسن علي بن موسى الحضرمي المعروف بابن عصفور (597-669هـ/ 1201-1270م)، صاحب كتاب **الممتع في الصرف**، و**المقرب في النحو**، وهو حامل لواء العربيَّة بالأندلس،

(1) كرير، مرجع سابق، ص308-309.
(2) المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ص236.
(3) الغبريني، **عنوان الدراية**، ص79.

وأبي جعفر أحمد بن يوسف الفهري المعروف باللبلي (623-691هـ/ 1226-1292م)[1]، وابن الأبار (595-658هـ/ 119-1259م)، فكان بارعاً في القول وجيِّداً في الترسُّل والنظم وقد بلغت تصانيفه خمسين تأليفاً، وكان عالماً في التاريخ وله كتب عديدة وتُعتبر قصيدته المشهورة التي ألقاها على مسامع الأمير الحَفْصي أبي زكرياء يحيى الأوَّل من أشهر قصائده، وكُتبه عديدة أهمّها **الحلّة السّيَرَاء**، وكتاب **إعتاب الكتاب**، و**دور السمط في خبر السّبط** وهو مادة تاريخية كانت تدرس في المعاهد العِلْميَّة بتونس[2].

لقد ظهر التأثير الأندلسي في إفريقية خِلال العهد الحَفْصي من خلال التأنُّق واللُّطف المُتكلف وحب النكتة وأخبار الصُّور والمقامات، فكتب القُرَّاء بعض الأبيات حَوْل زهرة الزنبق، وزهرة اللَّوز، وشجرة الإجاص، وغيرها من الأشياء الأُخرى[3].

لم تقتصر عُلوم المُهاجرين الأندلسيين على عُلوم الشريعة والدِّين واللُّغة والأدب فقط بل شهد العهد الحَفْصي ظُهور مجموعة كبيرة من المؤرخين والجُغرافيين الذين استقرّوا بإفريقية، والذين كان من أشهرهم ابن سعيد نور الدِّين الحسن بن علي بن موسى الغرناطي (610-685هـ/ 1213-1286م) وهو الرحالة المشهور لدى أمراء بني حفص، والذي كانت له العديد من المؤلفات التاريخيَّة والجغرافيَّة وغيرها من العُلوم، منها: **الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد**، و**المغرب في حُلى المغرب**، و**المُشْرِق في حلى المشرق**، و**القِدح المُعَلَّى في التاريخ المُحَلَّى**، و**بسيطة الأرض في الطول والعرض**، و**الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**، و**المرقصات المطربات**، وبلغت مؤلفاته ستة وأربعين مؤلفاً[4].

(1) الغبريني، المصدر نفسه، ص317. كرير، مرجع سابق، ص316.
(2) الغبريني: مصدر سابق، ص309-310، 340. كرير، مرجع سابق، ص316-317.
(3) برنشفيك، مرجع سابق، ج2، ص126.
(4) المقري، **نفح الطيب**، ج2، ص271.

أمَّا العُلوم العقليَّة والتطبيقيَّة، فكان لها الحظ الأوفر من اهتمام المُهاجرين الأندلسيين إلى إفريقية، فشهدت البلاد العديد من الأطباء الذين خدموا في البلاط الحَفْصي وعملوا على عِلاج أهالي بلاد إفريقية إبَّان تعرضهم للطاعون وبعض الأمراض المُعديَّة الأُخرى، ومن أشهرهم الطبيب المشهور أبو القاسم محمد بن أحمد المعروف بابن أندراس سنة (674هـ/ 1273م) الذي قَدِم من مرسية وأقام ببجاية زمنًا قبل أنْ يتَّخذه المُنتصر باللَّه الحَفْصي طبيباً خاصّاً له، ولقد كانت أبحاث هذا الطبيب قائمة على القوانين النظريَّة والاستدلالات الجليَّة، فإذا سُئل لا يجيب إلَّا بعد التأكد من أسباب المرض، ثم يُقدِّم الجواب ويصف الأدوية المُناسبة وقد أنجب ابناً اشتهر كذلك بالطِّب وتوفِّي سنة (729هـ/ 1329م)[1]، وغيره من الأطباء الذين اشتهروا بإفريقية وبمدينة تونس بالتحديد وهُم أبو العباس أحمد بن خالد المالقي، وأبو عبد اللَّه محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي، وأبو الحجاج يوسف، والخولاني، ومحمد بن عيشون الذي أوفده الأمير الحَفْصي أبو يحيى اللّحياني سنة (711-717هـ/ 1311-1317م) سفيراً إلى خايمي الثاني ملك أرغون[2].

أمَّا في مجال الهندسة المِعْمارية فقد أبدع الأندلسيون في تخطيط بلاد إفريقية العمراني؛ حيث أصبح الطراز الأندلسي هو الغالب في إفريقية، واستعان أُمراء بني حَفْص بعدد كبير من المُهندسين الأندلسيين في بِنَاء القُصور والجوامع والزوايا والأسواق، والمِثال على ذلك باب المنارة في تونس وباب اللّاريحانة أحد أبواب الجامع الكبير بالقيروان، وأقواس سوق القماش، ومنصَّة سوق العطارين، وزاوية سيدي قاسم الجليزي وبعض المدارس الحَفْصية بالإضافة إلى الزخرفة والخزف داخل المنازل الخاصَّة بإفريقية[3].

أمَّا علم النبات فقد اهتم المُهاجرون الأندلسيون بالرياض والبساتين، وكان من أشهر أعلامهم في هذا المجال أبو محمد عبد اللَّه أحمد البيطار

(1) الغبريني، مصدر سابق، ص44-45. برنشفيك، مرجع سابق، ج2، ص389.
(2) كرير، مرجع سابق، ص321.
(3) جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، ج4، ص414.

المالقي (446هـ/ 1248م)، فاعتبر إمام النباتيين ومن عُلماء الأعشاب، وألَّف موسوعة الجامع في الأدوية المُفردة جمع فيها كُلّ ما شاهده وسمعه عن أصناف النباتات[1].

أمَّا علم الحساب فاشتهر به أبو جعفر ابن جعفر المالقي ببجاية وارتحل إلى تونس العاصمة، وأبو عبد اللَّه محمد الصفار الأعمى الذي كان آية في الحساب والفرائض أحسن إليه الأمير الحفصي أبو زكرياء يحيى عبد الواحد وأجرى عليه وجالسه[2].

أمَّا علم الفلك والنجوم والتنجيم فازدهرت بفضل الشيخ الأندلسي يحيى ابن عبد الواحد الخياط[3]، واشتغل البعض من الأندلسيين بالترجمة بالإضافة إلى أعمالهم الأُخرى ومنهم عبد اللَّه بن الترجمان الذي لُقِّب بذلك اللَّقب نتيجة لترجمته عن الوفود الأجانب للسلطان الحفصي وما يرده من رسائلهم فيذكر في كتابه: «كنت أُترجم للسلطان ما يأتي من كتبهم ثم كتبه إليهم»[4].

ممَّا سبق تبيَّن أنَّ للهجرات الأندلسيَّة إلى إفريقية زمن الدولة الحفصيَّة تأثيرات ثقافيَّة كبيرة شملت العلوم الدِّينيَّة والتطبيقيَّة بمُختلف أنواعها، أسهم فيها العُلماء الأندلسيون الذين كان لهم السبق في العلم والثقافة في بلادهم الأندلس، وللتشجيع الكبير الذي لاقوه من أُمراء بني حفص في إفريقية وهو ما سوف يتناوله البحث في الصفحات التالية.

2 - الأُمراء الحفصيون وتشجيعهم للحياة الثقافيَّة في إفريقية:

لقد تطوَّر النشاط الثقافي بإفريقية خلال العهد الحفصي؛ وذلك مردّه إلى تشجيع أمراء الدولة للعِلْم والثقافة بفروعها المُختلفة لحسن تكوينهم العِلْمي

(1) المقري، مصدر سابق، ج2، ص691-692.
(2) كرير، مرجع سابق، ص322-323.
(3) برنشفيك، مرجع سابق، ج2، ص388.
(4) عبد الله الترجمان، **مخطوط تحفة الأريب**، رقم: 04347، دار الكتب الوطنية تونس، ص7.

وحِرصهم على أنْ يجعلوا عاصمتهم تونس قِبلة يقصدها روَّاد العِلْم والمعرفة والأدب والإشعاع الحضاري لشَمال إفريقيا وتشجيعهم للمُفكِّرين والعلماء والمُثقَّفين الأندلسيين المُهاجرين إليهم، والمغاربة على السَّواء والترحيب بهم في بَلاط دولتهم ومُدنهم بل لم يكتفِ أمراء الدولة بالتشجيع فقط وإنما كانوا ينظمون الشِّعر ويبدعون في النثر ومُختلف العُلوم الأُخرى[1].

وقد اهتم الأُمراء الحفصيون بالثقافة الإسلاميَّة، فاهتموا بمجالس العِلْم وإنشاء المكتبات وتشجيع البحث والدراسة والتأليف وإرسال البعثات العِلْميَّة إلى الأزهر الشريف بمصر، ومدارس غرناطة، بالإضافة إلى أنَّ الأُمراء كانوا ميَّالين لحُضور مجالس العِلْم والحِرْص على الاستفادة منها[2].

ومن شِدَّة حِرْص أمراء بني حَفْص على تشجيع العِلْم والثقافة كانوا يهتمُّون بكل وسائط المعرفة من أساتذة وطُلَّاب، وكان أبو زكرياء الأوَّل قد جمع في خِزانة كُتبه بقصره ستة وثلاثين ألف مُجلَّد[3].

وجرت العادة لدى أُمراء بني حَفْص على استدعاء العُلماء والأُدباء من المغرب والأندلس، وكانوا أكثر الناس براً وإحساناً بالعُلماء والشُّعراء والأُدباء وأعرفهم بقدرهم وتعظيم مكانتهم وتبجيلهم، فأجزلوا لهم العطاء ومنحوهم النَّفقات الكافية بالإضافة إلى مَنْحهم إقطاعات من الأراضي[4].

ولقد اهتم مُعظم أُمراء بني حَفْص بالعِلْم والعُلماء والثقافة منذ قيام دولتهم على يد أبي زكرياء يحيى الأوَّل ومِنْ بَعْده الأمير المُستنصر باللَّه الحَفْصي الذي سار على نهج أبيه أبي زكرياء، وظل ذلك الاهتمام بالعِلْم والعُلماء طيلة العهد الحَفْصي بإفريقية حتى إنَّ الأمير أبا زكرياء بن إسحاق بنى

(1) محمد الحبيب الخوجة، **الحياة الثقافية بإفريقية صدر الدولة الحفصية**، ص36. برنشفيك، مرجع سابق، ج2، ص423.
(2) الغنيمي، **الموسوعة**، ج5، ص99.
(3) الزركشي، **تاريخ الدولتين**، ص55. ابن أبي دينار، **المؤنس**، ص127.
(4) الغيريني، مصدر سابق، ص314.

العديد من المؤسسات العِلْميَّة، وكان مجلسه يضم عدداً كبيراً من العلماء والأُدباء، ويقوم بتقريب مخدة من مخدَّات سريره عند دخول العُلماء والأطبَّاء، وحدث ذلك عندما دخل عليه الفقيه الطبيب الشهير ابن أندراس الأندلسي، وكان ذلك إجلالاً وإكراماً للعِلْم ورجاله[1].

لقد حَرص الأُمراء الحَفْصيون على تكريم رجال العِلْم والمُثقَّفين في جميع المُدن التابعة لهم مثل الشيخ أبي بكر أحمد بن عبد الرحمن الذي عرف بابن محرز (596-655هـ) وهو من أهل بلنسية وكانت له حُظوة ومكانة مرموقة؛ حيث كان على رأس الجماعة الأندلسيَّة ببجاية وكان بيته مقرّاً لاجتماعهم[2]، وكان أمراء بني حفص يحرصون على تعليم أبنائهم العُلوم الفِقهيَّة والتطبيقيَّة واتَّخذوا منهم مُعلِّمين خاصِّين لتعليمهم وتحفيظهم القُرآن الكريم والحديث الشريف ومنحوهم امتيازات كُبرى تليق بمكانتهم العِلْمية كالفقيه القاضي أبي علي اللحياني الذي عرف له الخليفة الحَفْصي مكانته فأكرم وفادته وقد كان لهذا الشيخ مكانة كبيرة في نفس الأمير الحَفْصي أبي زكرياء إسحاق[3].

وكان يَحْرص أُمراء بني حَفْص على زيارة الفُقهاء والأُدباء والعُلماء، ويمنحونهم الأموال الكثيرة للتصدُّق بها على طُلَّاب العِلْم والفُقراء والمساكين؛ لذلك منح الأمير أبو زكرياء إسحاق الفقيه الشيخ أبا العباس أحمد الغرناطي كيسين مملوءين ذهباً وفضةً ليوزِّعها على من يتلقَّى العِلْم وحَلقات الدِّراسة[4].

وكان الأمير أبو فارس عبد العزيز يحرص كُل الحِرص على زيارة العالم الفِقيه ابن عرفة ليُعطيه الأموال للإنفاق منها على الفقراء والمساكين[5]، ولقد

(1) ابن القنفذ، **الفارسية**، ص163.
(2) ابن الشماع، **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، ص114.
(3) ابن القنفذ، مصدر سابق، ص163.
(4) الغبريني، مصدر سابق، ص106-107.
(5) عبد الله الترجمان، مصدر سابق، ص11.

كانت بلاطات الأُمراء الحَفْصيين في إفريقية مملوءة بالشُّعراء وخاصَّة في المُناسبات الأدبيَّة والدِّينيَّة[1].

وخُلاصة القول: إنَّ جميع أمراء بني حفص قد أَوْلوا العِلْم والثقافة اهتماماً كبيراً وذلك بالتوسُّع في نَشْر العِلْم ومؤسساته والاهتمام بالعِلْم ورجاله طيلة العهد الحَفْصي باستثناء الأمير أبي زكرياء اللِّحياني الذي شذَّ عن القاعدة بسبب اختلاف ظُروف حكمه عمَّن قبله؛ حيث لم يهتم بالعِلْم والعُلماء وأدَّت تصرُّفاته إلى ضَياع كُنوز عِلْميَّة نفيسة جمعها الأمراء من قَبْله؛ حيث أخرج جميع النفائس من مكتبة القصر وباعها سنة (757هـ/ 1315م)، فيذكر الزركشي ذلك بقوله: «باع جميع الذخائر التي كانت في القصبة حتى الكُتب التي كان الأمير أبو زكرياء جَمَعَها... أخرجت للكتابيين فبيعت في دكاكينهم»[2].

من خِلال ما سَبَق دراسته يتبيَّن أنَّ الحركة الثقافيَّة في إفريقية خِلال العهد الحفصي قد تطوَّرت وتقدَّمت بفضل اهتمام أُمراء بني حفص بالعِلْم والعُلماء المُهاجرين من الأندلس وخاصَّة بعد تأسيس المدارس والمؤسسات التعليميَّة والثقافيَّة بفضل جُهود الأُمراء والفُقهاء.

3 - المؤسسات العِلْميَّة والثقافيَّة بإفريقية الحفصيَّة:

انتشرت المكاتب في المُدن الرئيسة والفرعيَّة بإفريقية وداخل أسوار القصبة (القصر السلطاني) لتعليم أطفال الأُمراء وأطفال كبار رجال البلاط الكتابة، والأدب، والخط، والقُرآن الكريم[3].

إنَّ الدَّولة الحفصيَّة منعت الأطفال من تلقِّي التعليم في المساجد بعد انتشار الكتاتيب وخصَّصت المساجد لتعليم كِبار السِّن ولعقد حلقات التعليم

(1) كرير، مرجع سابق، ص332.
(2) الزركشي، مصدر سابق، ص116. ابن الشماع، مصدر سابق، ص86.
(3) الخوجة، **الحياة الثقافية**، ص38.

لتنظيم الدُّروس وخاصَّة جامع الزيتونة وأسهمت المساجد بِدَوْر تعليمي؛ حيث يُدرّس بها الرواية والقُرآن[1].

إنَّ المؤسسات الاجتماعيَّة كانت تقوم بدور كبير في التعليم خِلال بداية العهد الحَفْصي من خِلال المساجد والجوامع والزوايا والرباطات، فيتحوَّل الصبيان من البداية الراغبون في مُزاولة التعليم حسب استطاعتهم إلى الزوايا والأربطة القريبة منهم لينتفعوا بِعِلْمها.

أمَّا المدارس فكانت من أهم المؤسسات التعليميَّة والثقافيَّة، وقد أنشأ أمراء بني حفص وأميراتهم وكبار رجال الدولة العديد منها في تونس وطرابلس الغرب وخاصَّة في عهد الأُمراء الثلاثة الأوائل وهُم أبو زكرياء يحيى الأوَّل وابنه المُستنصر والأمير أبو إسحاق إبراهيم[2].

أمَّا مدينة بجاية فكان التدريس يتمّ فيها بالجامع الأعظم؛ حيث درس فيه أغلب عُلماء مُهاجري الأندلس الذين استقرُّوا بها، والذين مروا بها وأقاموا بالحاضرة تونس كابن سيِّد الناس والمؤرخ الكبير أبي العباس أحمد القلشاني الغرناطي وابن حازم القرطاجي وغيرهم، أمَّا الذين استقروا بها فمنهم الفقيه الشيخ يحيى الأندلسي[3].

وقد كانت منازل الأعلام وخاصَّة الأندلسيين مقرّاً لاجتماع العُلماء والمُذاكرة والمُناقشة والمُناظرة والمطارحة في المسائل العلمية والقضايا الأدبيَّة واللُّغوية وتبادل الآراء والمشورة، والمِثال على ذلك هو الفقيه أبو العباس أحمد بن خالد المالقي (ت 660هـ/ 1262م) الذي جلس للإقراء بمنزله[4].

وكان بعض الأندلسيين يهتمُّون بالعِلْم وتحصيله في حوانيتهم مثل أبي

(1) الخوجة، **الحياة الثقافية**، ص44.
(2) ابن قنفذ، مصدر سابق، ص156. ابن الشماع، مصدر سابق، ص56. الزركشي، مصدر سابق، ص51. الخوجة، مصدر سابق، ص49. أحمد عامر، مرجع سابق، ص65.
(3) الغبريني، مصدر سابق، ص234.
(4) المصدر نفسه، ص73، 100-101.

محمد عبد الحقّ الأشبيلي وأبي عبد الله بن عمر القرشي وأبي علي المسيلي الأندلسي، والذين كانوا يتناظرون في العِلْم والفِقه بأحد الحوانيت بطريق حومة المقدسي ببجاية دائماً، حتى عُرف ذلك الحانوت بمدينة العِلْم[1]، وكون الأدباء والشعراء مجالس تُشبه الندوات في هذا الوقت، وكانت تضم العديد منهم لإلقاء الأشعار ويدعى إليها كل من له موهبة في الشِّعر والأدب[2].

شهدت أغلب المؤسسات الثقافيَّة في إفريقية وخاصَّة تونس وبجاية توافد أعداد كبيرة من الأندلسيين للتدريس بها ورغم المُزاحمة على التدريس بالمؤسسات الثقافيَّة فإنَّ أغلب أُمراء بني حفص كانوا يفضلون ويميلون إلى مشاهير عُلماء الأندلس للتدريس في مدارسهم؛ وذلك لبراعتهم وتفوُّقهم الواضح على أمثالهم من أهل البلد[3].

إنَّ هؤلاء المُدرِّسين الأندلسيين وجدوا إفريقية الحفصيَّة سوقاً مُستعدَّة لاستيعاب بضاعتهم ورواجها، فكان إقبالهم على العِلْم بإفريقية شديداً لدرجة أنَّهم اختاروا مهنة التعليم؛ وذلك لما كان لأُسلوبهم الذي قدموا به من جاذبية ولما قوبلت به من رضى واستحسان نشروها في عُموم البلاد الإفريقية[4].

لقد أدخل الأندلسيون إلى إفريقية طريقة جديدة للتدريس بدل التقليد بالحِفظ، فأصبح التعليم يعتمد على إطلاق المجال للعقل في التفكير والتعليل وتحليل الآراء ودراستها ومُناقشتها؛ ولذلك أشار ابن خلدون في مُقدِّمته في أثر الأندلس في التعليم بإفريقية بقوله: «أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب، ومُمارسة قوانين العُلوم وتلقين مسائلها لأنَّ عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه، ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر من سواه، وعنايتهم بالخط كذلك وبالجُملة، فطريقتهم في ذلك

(1) الغبريني، مصدر سابق، ص36.
(2) حسن حسني عبد الوهاب، **مجمل الأدب التونسي**، ص196.
(3) عبد الله العروي، مرجع سابق، ص220.
(4) محمد الطالبي، **الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين**، ص65.

أقرب إلى طريقة أهل الأندلس؛ لأنَّ سند طريقتهم في ذلك متَّصل بمشيخة الأندلس الذين أجازوا عندما تغلَّب النَّصارى على شرق الأندلس واستقرُّوا بتونس وعنهم أخذ ولدانهم بعد ذلك»[1].

كانت الرواية والنقل بالمؤسسات التعليميَّة عن الشيوخ أساس التعليم للحديث الشريف والعُلوم الأُخرى؛ وذلك بالإسناد للحديث إلى أنْ يصل النبي ويذكر أسماء الصَّحابة حتى يتمّ الإسناد الصحيح[2].

أمَّا في علم القراءات فكانت تدرس بعض مؤلفات الأندلسيين، ولم تقتصر الدِّراسة في المدارس على عُلوم الفِقه والحديث والقراءات وإنَّما اشتملت على التصوُّف والنحو والشِّعر وكُتب التاريخ وعلوم الطِّب والهندسة والرياضيات والفلك[3].

قام عُلماء الأندلس لضمان انتشار علمهم بمنح إجازات عِلْميَّة للطلَّاب الذين حرصوا لنيلها ليحصلوا على علم قوي سليم خالٍ من التحريف والأخطاء، وتتيح لهم هذه الإجازات مُمارسة مهنة التعليم والتدريس ورواية العِلْم الذي تلقوه عن مشايخهم ويجوز أيضاً أنْ تتعدَّد الإجازات للطالب ما دام يأخذ العِلْم من عدد من الأساتذة العُلماء[4].

ولم يكن تأثير الأندلسيين مُقتصراً على طرق وأساليب الدِّراسة، بل تعدَّاها إلى اختيار نماذج رسم الخط والكتابة والتأليف، فأصبح النموذج الأندلسي يُحتذى به في اختيار الألفاظ والرصانة واعتماد السجع والأخذ بالمُحسّنات البديعية، أمَّا البرامج الدراسيَّة القائمة على المُتون والشُّروح والتعليقات فكانت ذات طابعٍ أندلسي سَواء في طريقة تأليفها واتِّخاذ الأساليب

(1) ابن خلدون، **المقدمة**، ص413.

(2) الغبريني، مصدر سابق، ص175.

(3) حازم أبي الحسن القرطاجني، (ت684هـ/ 1285م)، **مقدمة كتاب نهج البلغاء وسراج الأدباء**، ص58.

(4) عيد السهيل، **الجالية الأندلسية في مدينة تونس خلال القرن 7هـ/ 13م**، ص62.

الجميلة في تدريسها مع المُحافظة على أمهات الكتب التقليدية في العملية التعليمية قبل جامع الحديث وغيرها، وهذا جعلها محل اهتمام الجميع، فاعتمدها الأساتذة في التدريس وأقبل عليها الطَّلبة[1].

أمَّا نظام التدريس فكان مجاناً في المدارس والزوايا ممَّا ساعد الطلبة المُنحدرين من أوساط شعبيَّة فقيرة على تلقِّي العُلوم لترتقي به إلى مرتبة اجتماعية أعلى[2].

وكانت مدَّة الدِّراسة في المدارس الحفصيَّة خمس سنوات، ولم تمنح العطل الرسميَّة إلَّا في المُناسبات الدِّينيَّة إضافة إلى يومي الخميس والجمعة من كُلّ أُسبوع[3].

ازداد الاهتمام بالمكتبات مع بداية العهد الحفصي، وكانت تحوي مجموعة من المخطوطات والكتب النادرة أُلحقت بالمساجد والزوايا والمدارس، وتُعتبر مكتبة جامع الزيتونة من أشهر المكاتب احتوت على ستة وثلاثين ألف مخطوطة جمعها الأمير أبو زكرياء يحيى الأوَّل، إلَّا أنَّ الأمير الحَفْصي أبا يحيى اللحياني أخرجها لسوق الوراقين فبيعت في دكاكينهم[4]، وكانت بمدرسة المعرض مكتبة كبيرة زوَّدها الأمير أبو إسحاق بكتب ذات قيمة في كُلّ فُنون العِلْم[5]، بالإضافة إلى غيرها من المكتبات التي انتشرت في أغلب المؤسسات الثقافية بِمُدن إفريقية الحفصيَّة.

وخُلاصة القول: إن الأندلسيين قد أسهموا في الحركة العِلْميَّة والثقافيَّة بنصيب كبير في إفريقية خِلال العهد الحَفْصي؛ حيث إنَّ أغلبية هؤلاء الأندلسيين كانوا من الطبقات المُتعلِّمة منهم العُلماء والفُقهاء والمُدرِّسون

(1) سعيدوني ناصر الدِّين، **مظاهر التأثير الإيبيري**، ص110.
(2) برنشفيك، مرجع سابق، ج2، ص174.
(3) المرجع نفسه، ج2، ص378.
(4) ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص127. برنشفيك، مرجع سابق، ج2، ص385.
(5) الزركشي، مصدر سابق، ص338.

والمُفسِّرون والشُّعراء والأُدباء واللُّغويون والكتَّاب ومَهَرة الإنشاء وأصحاب الديباجة حلّوا جميعهم بإفريقية بعُلومهم وفُنونهم وكفاءاتهم وشاركوا في التدريس في جميع المؤسسات الثقافيَّة؛ حيث ارتقوا بها إلى مَصاف بيئتهم الأندلس علماً وأدباً وفنّاً؛ وذلك بفضل الأمراء الحفصيين الذين تكرَّموا عليهم بالإحسان والتقدير وإغداق الأموال للرفع من مُستوى العِلْم والثقافة بإفريقية الحَفْصيَّة منذ قيام دولتهم.

وقد تتلْمذ على يد هؤلاء العُلماء الأندلسيين عدد كبير من طُلَّاب العِلْم ومُحبِّي الأدب والشِّعر فتأثَّروا بهم وأخذوا عنهم حتى أصبحت إفريقية وارثة لعُلوم الأندلس، فكثر حُذَّاق العُلوم بها فراج سوق العِلْم في إفريقية واشتهرت عائلات به مثل عائلتي التجاني وابن خلدون وغيرهم.

الخُلاصة:

استخلاصاً لما تمَّ عرضه في هذا البحث إثر الهجرات الأندلسيَّة في إفريقية الحَفْصيَّة، وما قامت به هذه الهِجرات من تأثير في النشاط الثقافي بإفريقية خِلال العهد الحَفْصي يُمكن استخلاص النتائج التالية:

1 - احتوت الهِجرة الأندلسيَّة إلى إفريقية على عدد كبير من العُلماء والفُقهاء والقُضاة والأُدباء، وكانت هذه الهِجرات فرديَّة وجماعيَّة بسبب سُقوط المُدن الأندلسيَّة.

2 - اتَّجه المُهاجرون الأندلسيون إلى إفريقية للصِّلات التي كانت تربطهم بالأُمراء الحَفْصيين، فاستقبلوهم بالودِّ والترحاب وخاصَّة العُلماء والمُثقَّفين منهم.

3 - تمتع الأندلسيون المُهاجرون إلى إفريقية بمكانة خاصَّة عند الأُمراء الحَفْصيين.

4 - ساهم الأندلسيون في إضفاء طابعهم المُتميّز في إفريقية الحَفْصيَّة؛ وذلك بنشر التعليم والثقافة الأندلسيَّة ذات الأهمِّيَّة البالغة؛ لأنَّهم كانوا مُمثِّلين لحضارة مُتقدِّمة.

5 - شهدت إفريقية خِلال هِجرة الأندلسيين إليها نهضة عِلْميَّة وثقافيَّة كبيرة، كان للمُهاجرين الأندلسيين الدور البارز فيها بفضل أفكارهم ومُؤلفاتهم المُتعدِّدة؛ لأنَّهم يُمثِّلون طبقة مُثقَّفة أغلبها من الأُدباء، والشُّعراء، والعُلماء، والقُضاة، والفلاسفة، والفنَّانين أمثال ابن الأبّار، وابن الخطيب، وابن سعيد، وابن عميرة، وابن عُصفور، وحازم القرطاجنِّي وغيرهم، فساهم كل هؤلاء في تأسيس مدارس فكريَّة وتعليميَّة مُختلفة، كان أغلب المعلِّمين فيها من هؤلاء المُهاجرين الأندلسيين وتُدرِّس الطِّب، والفلسفة، والفِقه، والعلوم التطبيقيَّة، والإنسانيَّة، وغيرها لإشباع حاجاتهم عن طريق الارتزاق بالعِلْم وعملهم بالتدريس في المُؤسسات الثقافيَّة.

وعلى العُموم فإنَّ هذه الهِجرات الأندلسيَّة أسهمت مُساهمة فعالة وأثرت ثقافيّاً في بلاد إفريقية الحفصيَّة، وذلك بانصهار ثقافة الأندلس مع ثقافة إفريقية، فمثلت هذه الفترة ذروة الثقافة الإسلاميَّة في بلاد المغرب.